



أكتبُ كمن تفتّش عن كلماتها في حقل ألغام. أخطّ جملة وأنتفض عليها فأنسى ما يليها وأعيد الكرّة. لن أعتذر مني. لن أعتذر من بلاغتي ومن كلماتي التي لا تأتي. فأمشي بانتظار الكلام والمدينة. أمشي، ولا يأتي الكلام، ولا المدينة.

أحملُ أشلاء مدينةٍ على ظهري وأمشي بين حطامها — بقايا زجاج ورذاذ أحاديث وركام حكايات وأنين ذكريات. وناس ذهبوا ولن تعود.

أحملها مدينة ليست نفسها وأمشي بين جيفها وخرير أرواحها السائلة. أمشي بين تفتّات طريق وشقوقها، على دماء تفتّتت من شرايين المدينة السالّقة. أمشي لا أدري من أنا. فكأنّني أصبحت حضوراً خارج نفسي، خارج جسدي. فأنا لم أعد أنا.

ولكنّني لا أبحث عني. فما بقيّ منّي يتصبّر جماداً أمام هول صدمة سرّالية وخشوعاً في ركعة أمام مدينة كانت ولم تعد.

لا تشفع صلاة في مدينة علّموها النهوض ما بعد السقوط المستمر وحرموها من رصاصة الرحمة.

لا تشفع في المدينة مئات الأساطير وطيور الفينيقي التي شبعنا بيروت من رياء خطاب صمودها. فهنا دُبحت الأساطير وُهِيت آلاف المرات ولم نعلم. لم نتعلّم. لم نتعلّم خطورة الأمل وظلمه في مدينة تعاني من الديسلكسيا. فليس مصيرنا وصيرورتنا الأمل المستدام وإنما الألم غير المؤجل والمحتم.

لن أعتذر مني. لن أعتذر على كلام يبدو في ثيابه أنّه قد تخلّى عن اندفاعه الثوري. فأنا لست أنا. ولم يعد باستطاعتي التعرّف على نفسي. إنّهُ الخوف والجفول والفراغ والغضب. فأشعر بلا شيء وبالشيء في آن. وكأنّني قد تحوّلت إلى إناء متكسّر لا أكثر، إناء يُبالغ بمحتواه لكيلا يتلاشى حطاماً، لا يحتويه إلا بقايا كلام لا يُنطق وصمت صارخ يُصدّع ما بقي منه سليماً.

لن أعتذر مني، ولا من ضعفي أمام انكسار مدينتي، ولا من خوفي من ضياعي بين حطامها. لن أعتذر من عدم قدرتي على النهوض. لن أشيخ بنظري عن شوارعها التي فقدت شيئاً لا اسم له بعد، ولا عن أصواتها التي خفتت. لن أتركها



ولكنّي لن أكذب عليها. ولن أعتذر.

أصبح كمن لا ترى شيئاً رغم انقشاع الضباب وغيم الخراب بعد التفجير. لقد مرّ أكثر من شهر. ولم يحدث شيء. لا في التحقيق ولا في المحاسبة ولا في التعويض عن الخسائر المادية الفاضحة. أما تلك المعنوية، فقد قالت المنظومة الحاكمة كلمتها: لستم سوى حطام، نرميه، نكسره، نبيعه، ونستبدله بكلّ ما يلزم، بكلّ من يغضّ النظر، بكلّ من ينظر في المرآة ويرى ما نرديه أن يرى. أنتم لا شيء.

أتحايل على نفسي. أتذكر موعداً في الأمس القريب، تدنو ذاكرته مني وكأنه حدث خارجي، اختبرته في حياة سابقة. مار مخايل، بداية سنة جديدة. ٢٠١٩. آخر شتاء. باحة بار خارجية، درج طويل. كأسا ويسكي. القليل من الذرة المحمّص. الكثير من القصص. وحديث لم ينتهِ بعد. مطر. الكثير من المطر. ركض في أحياء الجعيتاوي. وضحك. الكثير من الضحك. نسلك طريقاً طويلاً. فالطريق المختصرة لا حكاية فيها. سطح بيت مهجور. وبيروت تحت أنظارنا. وسيجارة.

ذهب البار. والدرج. وسطح البيت المهجور. والمدينة. وبقيت الحكاية.

في طريقي الى منزل والديّ في الجبل، بُقعة تطلّ على بيروت. كنت كلما أمر بها، أخفف من سرعة السيارة، وابتسم لمدينة تعرفني، تعرف كل شيء عني، كل أسراري وخطواتي، كل آمالي وأحلامي، كل خيالاتي وجراحي، كل قصصي وروايتي. في ٥ آب ٢٠٢٠، مررت من هناك، ولم أجدها. ضباب كثيف، وعمّة حالكة، وأصوات هالكة. لم أجدها ولم أجدني.

لم يتغيّر شيء بعد شهرٍ على الجريمة. ما زلت أكتب كمن تفتّش عن كلماتها في حقل ألغام. أخطّ جملة وأنتفض عليها فأنسى ما يليها وأعيد الكثرة. لن أعتذر مني. لن أعتذر من بلاغتي ومن كلماتي التي لا تأتي. فأواصل المشي بانتظار الكلام والمدينة. أمشي ولا يأتي الكلام، ولا المدينة.

الكاتب: **فرح العريضي**